أثر الدين والحكمة والفلسفة في شعر المتنبي

محمد محمد فيض – كلية السياحة والضيافة – مصراتة – ليبيا
mmfaidh@gmail.com

مُلَّخصُ:
تتجلى النزعة الدينية القومية في قصيدة الشعر عند المتنبي على القيم الدينية، التي تمثل نموذج الكمال الديني، الذي يحرص الشاعر على تصويره في ممدوحه، وتمثله لها وقد كثر على الرغم من التحلل الخلقي الذي ساد المجتمع آنذاك. والمتنبي يقذف بالحكم والأمثال في أثناء القصيدة، حتى يضفي عليها طابعاً من المعاني التي تحمل مضمون القصيدة، وما ترمي إليه وهذا كثير في مدائحه في كل مراحله وبيئاته التي تقلب فيها، ثم يربط هذا المعنى بحكمة تحمل نفس المضمون. والمتنبي له فلسفة قائمة بذاتها مستقاة من عصره وشخصيته.

كلمات افتتاحية: الدين، الفلسفة، الحكمة، الشعر، المتنبي.

مقدمة:

كان المتنبي كثير الاطلاع على تاريخ وعلوم الشعوب، ثاقب الفكرة، متفتح البصيرة، عالماً بأحوال الناس، حاملاً لهمومهم وقضاياهم، واطّلع المتنبي على القصص الدينية في القرآن، وما فيها من عظات، وعبر، ويمزج المتنبي الحكمة الممزوجة بروح الدين، المؤمنة بالقدر، ومفاتن الحياة ونوائبها، والحكمة في شعره، نجدها بلغت الذروة من حيث القوة، والتي نلتمسها في معظم فنون الشعر عنده ولقد تغلغل المتنبي في بواطن الأمور المظلمة، الحالكة لكثرة تجاربه، وقلما التفت لفلسفة الكون، والعالم، والنظريات الفلسفية، لدى علماء الفلسفة، وإنما انصرف لهموم مجتمعه، وقضاياه الحياتية، وسأحاول هنا تناول هذا الموضوع بالبحث آملاً بذلك أن ألقى ضوءاً – مهما كان يسيراً – على أثر الدين والحكمة والفلسفة في شعر المتنبي. وقد حاولت أن أجعل هذا البحث خلاصة واختصاراً لما قرأته في الكثير من المصادر عن أثر الدين والحكمة والفلسفة في شعر المتنبي، واستدعت طبيعة هذا البحث أن يكون في ثلاثة عناوين وبعدها خاتمة، يتناول

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

العنوان الأول أثر الدين في شعر المتنبي، ويتناول العنوان الثاني أثر الحكمة في شعر المتنبي، ويتناول العنوان الثالث أثر الفلسفة في شعر المتنبي، وتتناول الخاتمة النتائج التي توصل إليها البحث.

أثر الدين في شعر المتنبي:

الفرد، والعشيرة، والقومية، ذات قيمة سياسية، عند شاعرنا ولكننا نرى قبل ذلك أن الرابطة التي تضم كل هذه القوميات والمجموعات، هي رابطة الدين، وكثر شعر أبي الطيب الذي يعبر عن قوميته الإسلامية العربية، وجاءت قصائده العديدة في كثير من ممدوحيه تحمل مسحة دينية، وخاصة عند سيف الدولة، والمعارك التي صورها لنا بين جانبين، جانب المسلمين، الذي يقوده ممدوحه وعشيرته، وجانب الروم الذي يقوده الدمستق*، يقول في مديحه لسيف الدولة[1]: [من الكامل]

خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ الْمَنَاصِلُ عَنْوَةً *** *وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ
وَالطَّرْقُ ضَيِّقَةُ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا *** وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيْمَانِ
وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ الْمَنَايَا فِيهِمِ *** فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

ويحث سيف الدولة على الأساس الديني للدولة، وضرورة ضم شمل المسلمين، يقول[2]: [من المتقارب]

أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ *** وَيَا ذَا المَكَارِمِ لاَ ذَا الشُطَبْ
سَبَقْتَ إِلَيهِمْ مَنَايَاهُمُ *** وَمَنفَعَةُ الغَوثِ قَبلَ العَطَبْ
فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّداً *** وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ*

ويؤكد القيمة الدينية لسيف الدولة، مع ربطها بجنسه العربي، يقول[3]: [من البسيط]

تَفَرَّدَ العُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ *** *وَشَارَكَ العُرْبَ فِي إِحْسَانِهِ العَجَمُ
وَأَخْلَصَ اللهُ لِلإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ *** *وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلائِهِ الأَمَمُ

---

* الدمستق: قائد رومي.

(1) المتنبي، ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط، وتصحيح، مصطفى السقا، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، 1397ه، 1978م، 4/180-183.

* الخضوع: التذلل – والمنصل: السيف – والعنوة: القهر.

(2) المصدر نفسه، 1/100-103.

* الصُّلُب: جمع صَليب وهو ما يتخذه النصارى في بيوتهم وبيعهم، وهو فعيل كنجيب ونجيب، وسرير وسُرُور.

(3) المتنبي، ديوان المتنبي، 3/376.

* المحتد: الأصل، من قولهم: حَتَدَ بالمكان: أقام به.

* الآلاء: النعم – الواحدة: إلًى. ومنه قول الزمخشري في قوله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة). قال نعمة ربها.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

ويحاول في مدائحه للملوك والأمراء أن يضفي على ملكهم هالة دينية، ويجعلهم مكلفين بمهام ينوبون فيها الرّعية، يقول[4]: [من المتقارب]

وَأَنْتَ مَعَ اللّهِ فِي جَانِبٍ * * * قَلِيلُ الرُّقادِ كَثِيرُ التَّعَبْ
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ * * * وَدَانَ البَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَبْ*

والشاعر يقابل بين الإسلام الذي يمثله ممدوحه، وبين الشرك، والكفر في الوجه الآخر، الذي يمثله الدمستق، ورفع شأن الإسلام لدعوته للعلا، والمجد، ومكارم الأخلاق، يقول[5]: [من الطويل]

وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ * * * وَلَكِنَّكَ التَوحِيدُ لِلشِرْكِ هَازِمُ*
هَنِيئاً لِضَرْبِ الْهَامِ وَالمَجْدِ وَالعُلَا * * * وَرَاجِيكَ وَالإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ

ولم يمدح أبو الطيب غير المسلمين، ومدح غير العرب، من زنج، وفرس، وترك، وكانت هذه إحدى خصائصه التي تميز بها شعره، وشخصيته القوية التي تعز العرب والمسلمين رغم كثرة الطوائف الدينية في عصره، ولكنه لا ينتمي إلى طائفة منها، أو يتعصب لإحداها، على الرغم من أن بعض الذين يرون تشيعه في صباه، ولكن لم يكن ذلك بارزاً في شعره، فهو يدعو للشمول في الدين الإسلامي، وجمع كلمتهم، وربما كان هذا لضرورة المعارك التي كانت بين المسلمين والروم، وذلك لجمع قلوب المسلمين على صعيد واحد، وضعف حكام عصره من الخلفاء والأمراء، وانحلال الأخلاق واتجاههم للهو. وكان يزاوج في مدحه ودعوته بين العاطفة الإسلامية، والعربية، على خطر ضعفهم، وضياع الخلافة من أيديهم يقول[6]:[من المتقارب]

أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ * * * عَلَى سَيْفِ دَولَتِهَا الفَاصِلِ*
يَقُدُّ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ * * * وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلِ

ويقول في أخرى يمدح سيف الدولة[7]: [من الطويل]

---

(4) المصدر نفسه، 104/1.

* المعنى: يريد أنك كأنك الموحد الله وحدك، وغيرك من البرية يريد الخلائق يدينون دين النصارى، يقولون في المسيح: ابن وأب، وقد نطق القرآن بهذا في قوله تعالى: (وقالت النصارى المسيح ابن الله).

(5) المصدر نفسه، 391/1-392.

* المعنى: يقول: لست في هزمك الدمستق ملكاً مثله، ولكنك الإسلام هزم شرك، وليس بينهما قياس في الفضل. يريد: أنك سيف الإسلام، ومقيم أوَد الإيمان، وملك الروم الذي واجهك عماد أهل الكفر، وعليه مدار الأمر، فهزيمتك له هزيمة التوحيد للشرك، ظهورك عليه ظهور أهل الحقّ على أهل الإفك.

(6) المتنبي، ديوان المتنبي، 31/3.

* الفاصل: ويروى (الفاضل) بالضاد والفاء، وهو من صفة سيف الدولة.

(7) نفسه، 277/1.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ وَاللّهُ ضَارِبٌ * * * وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللّهُ عَاقِدُ*
وَأَنْتَ أَبُو الهَيْجَا اِبْنُ حَمْدَانٌ يَا اِبْنَهُ * * * تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ*
وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ * * * وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ

ودفاعه هذا كان خوفاً من انهيار الخلافة الإسلامية، وضياعها، وعن الدين والعمل على توحيد المسلمين من خلال ممدوحه، والوقوف في وجه أعدائهم الروم، وتنبيه الخلفاء، لغفوتهم، وانشغالهم بالملذات، والترف الذي يعيشونه، والالتفات لحال المسلمين. يقول شوقي ضيف عن مديح الشاعر لممدوحه بهذه الصفات: "مدح الشعراء والخلفاء بصفات جعلتهم يقومون بأمر الناس، في عدلهم، وحكمهم للناس، ويرفعون أمام أعينهم، ما ينبغي أن يكون عليه الخليفة في خلقه، وفي دينه، وفي سيرته، وفي حكمه، وكأنما هو رمز للأمة في حكمها الرشيد"[8]. ونلحظ الدعوة، والنزعة الدينية الواضحة، في مدائحه على وجه الخصوص على الرغم من ضعف الإيمان، وانحلال المجتمع العباسي في تلك الفترة، ودخول كثير من الأشياء المخالفة للإسلام، مثل انتشار الرقص، والقيان، والخمور، وشرابها، ولكنه حال العصر والمدنية الجديدة الوافدة. وإذا تقوضت الخيمة، دلّ ذلك على توجيه إلهي لسيف الدولة الذي ترعاه العناية الإلهية، يقول[9]:[من المتقارب]

فَمَا اِعْتَمَدَ اللّهُ تَقْوِيضَهَا * * * وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ*
وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ * * * وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ*

ويصفه بأنه حزب الله، ورأيه السديد فيهم، يقول[10]: [من الطويل]

هَنِيئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمُ * * * وَأَنَّكَ حِزْبَ اللّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْباً*

واطَّلع المتنبي على القصص الدينية في القرآن، وما فيها من عظات، وعبر، يقول مادحاً محمد بن زريق الطوسي مقتبساً منها بعض المعاني، وفيها روح المبالغة[11]: [من الكامل]

---

* المعنى: يريد أنك للملك بمنزلة الحسام، لكن الضارب به الله جل جلاله، وأنت للدين لواء، والله عاقد لا غيره.

* الهيجاء: (تمدّ وتقصر)، وهي من أسماء الحرب.

المعنى: يقول: يا بن أبي الهيجاء، أنت أبو الهجاء بن حمدان، يعني: صحة شبهه بأبيه، حتى كأنه هو هو، وهو معنى قوله: "تشابه مولود".

[8] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط 6، مصر، 1996م، ص 204.

[9] المتنبي، ديوان المتنبي، 3/69-70.

* التقويض: الحطّ، ورفع الأطناب لقلع الخيمة – وأشار: من الإشارة، لا من المشورة في الرأي.

* من همه، أي من إرادته، ورفل يرفل رفلاً: إذا سحب أذياله ومشى، وشمر رفله: أي ذيله.

[10] المصدر نفسه، 1/62.

* المعنى: يقول: هنيئاً لهم حسن رأيك فيهم، وأنك حزب الله (على النداء للمضاف) صرت لهم حزباً وناصراً.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

لَوْ كَانَ ذُو القَرْنَينِ أَعْمَلَ رَأيَهُ *** لَمَّا أَتَى الظّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا*
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأسَ عَازَرَ سَيْفُهُ *** فِي يَومِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى*
أَوْ كَانَ لَجُّ البَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ *** ما اِنْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى*
أَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ *** عُبِدَتْ فَصَارَ العَالَمُونَ مَجُوسَا*

ويمزج الشاعر الحكمة الممزوجة بروح الدين، المؤمنة بالقدر، ومفاتن الحياة، ونوائبها حاثاً بالصبر، يقول[12]: من البسيط]

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ *** مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ*
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ *** وَلا يَرُدُّ عَلَيْكَ الفَائِتَ الحَزَنُ*

وهذه مقتطفات مما وجد خلال قصائده المدحية، وإشارات إلى الاعتزاز بالإسلام، وحميته لدينه، وكثيراً ما ربط العامل الديني بالعروبة، ويرى في الخلافة منارة المسلمين، وهدايتهم، وإقامة العدل بينهم.

أثر الحكمة في شعر المتنبي:

الحكمة تعبير، دقيق، موجز، عن تجربة من التجارب الإنسانية العامة، تتضمن تفسيراً وتصويراً، لوقوعها على النفس، بحيث تجعلها تتعظ وتأخذ العبرة. وتأتي الحكمة نتاجاً لتجارب نفس حساسة، أثرت فيها التجارب من جراء أحداث وقعت، وبذلك تعيش عبر الزمن، بنفس القوة، والحيوية، وتعليلها للأحداث، تعليلاً يرتضيه الإنسان. وهذا ما وقع للشاعر الذي سمي بالحكيم، لورود الحكمة في شعره. وكانت نفسه وتجاربه أساس حكمته وهو القائل[13]: [من البسيط]

---

(11) المصدر نفسه، 2/198-199.

* ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك البلاد، ودخل الظلمات وهي بحار، وقيل: إنها مظلمة عند منتهى البحر، وأعمل: استعمل.

* عازَر: رجل من بني إسرائيل، هو الذي أحياه الله لعيسى ابن مريم، ويوم معركة: يوم حرب – وأعيا: أعجز.

* لجّ البحر: معظمه ووسطه.

* المجوس: طائفة من الناس يعبدون النار.

(12) المصدر نفسه، 4/234.

* المعنى: يقول: ما دمت حيا، فلا تبالي بالزمان وصروفه ونوائبه، فإنها تزول، وليست دائمة، والذي إذا فات فلا عوض منه هو الروح.

وهذا من كلام الحكيم: أيام الحياة لا خوف فيها، كما أن أيام المصائب لا بقاء فيها.

* المعنى: يقول: السرور، وهو الفرح لا يدوم، ولا بدّله من انقضاء، وإذا حزنت على فائت تعبت، ولا يردّه عليك حزنك، وهو من قول الحكيم: الأيام لا تديم الفرح ولا الترح، والأسف على الماضي يضيع العقل لا غير.

(13) المتنبي، ديوان المتنبي، 1/170.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

لَيْتَ الحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الّذِي أَخَذَتْ * * * مِنِّي بِحِلْمِي الّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِبِيِ*

فقد أخذ حكمه عدد من الرواة، والنقاد، وتعرض لها الثعالبي في اليتيمة، وصاحب الوساطة، والعكبري في شرحه لديوانه. والحاتمي في رسالته. وأتت الحكمة عنده في أبيات متفرقة، في قصائده المدحية التي تمتاز بالقوة، والمعنى المقصود مباشرة. فالبيت الذي ليس به حكمه هو شبه حكمة. وتتعلق الحكمة في الأذهان بسهولة، لأنها ترد مع صورة قوية. واستطاعت نفس المتنبي التي تحمل هذه المعاني العظيمة، والتي أصبغت معها فلسفته المستمدة من هذا المعنى، يقول في حكمه[14]: [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلّةٍ * * * *فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسَامَ اليَمَانِيَا
فَمَا يَنْفَعُ الأَسْدَ الحَيَاءُ مِنَ الطّوَى * * * وَلاَ تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا*

فهنا يخاطب نفسه أنه يحتاج للسيف، ليدفع به الذل، فإذا رضي به فلا داعي للسيف، كذلك اتخاذه للرماح الطوال، والخيل الكرام. حتى إذا كان أسداً، وبه حياء فما ينفعه هذا الحياء ولا يأتيه رزقه. فكانت حكمه نتيجة اختباراته الفردية، ومعركة الحياة، وليس بينهما ربط يربطها سوى وحدة الشعور حينا، وعمق التجربة حيناً آخر، ومن هنا لا يمكن أن نفصل الحكمة من واقع الشاعر ونفسه.

وإذا تلمسنا الحكمة في شعره، نجدها بلغت الذروة من حيث القوة، والتي نلتمسها في معظم فنون الشعر عنده. حتى الغنائية المحضة كالغزل. لقد تغلغل الشاعر في بواطن الأمور المظلمة، الحالكة، لكثرة تجاربه. وقلما التفت لفلسفة الكون، والعالم، والنظريات الفلسفية، لدى علماء الفلسفة، وإنما انصرف لهموم مجتمعه، وقضاياه الحياتية، فجال فكره بين قضايا الموت، والحياة، القوة، والضعف، الصدق، والكذب، والخداع، يقول[15]: [من الكامل]

أَظَمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا * * * مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا*

ومن حكمه التي يدعو فيها إلى عدم التكلف والمبالغة يقول[16]: [من المنسرح]

---

* الحوادث: جمع حادثة، وهي ما يحدث الزمان من النوائب.
(14) المصدر نفسه، 282/4.
* الحسام: القاطع – واليماني: منسوب إلى صنعة أهل اليمن.
* الأسد: جمع أسد – والطوى: الجوع – وضرى الكلب بالصيد يضري ضراوة: تعوّد، وكلب ضار، وكلبة ضارية، وأضراه صاحبه: إذا عوّده، وأصله الجراءة والوقاحة.
(15) المتنبي، ديوان المتنبي، 124/1.
* المعنى: يريد: أن الدنيا أعطشتني، فلما طلبت منها الماء مطرت عليّ مصائب.
(16) المصدر نفسه، 220/3.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطّبْـ * * * ـعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزّلَلُ*

ويقول في حكمه أخرى[17]: [من الوافر]

فَإِنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حِينٍ * * * إِذَا كَانَ البِنَاءُ عَلَى فَسَادِ*

ويقول[18]: [من الخفيف]

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ * * * *رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

وإذا نزل بالشاعر نازل من الغم، والهم، اشتد به ذلك، وأخذ عليه نفسه، وينصرف كل فكره في التدبر، فيما مضى عليه من المصائب، ويكون كذلك، حتى تتفجر في نفسه، وقلبه ينابيع البيان، فينزع الحكمة من قلبه. ويذكر بلاشير مقالاً للكاتب شفيق جبري، في كتابه، "المتنبي مالئ الدنيا، وشاغل الناس" قال: "فإذا أخلد المتنبي، فإن الذي يخلده، إنما هي تلك الحكم الرائعة، التي استفاضت في شعره"[19]. وكان المتنبي كثير الاطلاع على تاريخ وعلوم الشعوب، ثاقب الفكرة، متفتح البصيرة، عالماً بأحوال الناس، حاملاً لهمومهم، وقضاياهم، وذلك من خلال شعره الذي يطغى فيه الطابع العام على التجربة الفردية الشخصية عنده، يقول[20]: [من الطويل]

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ * * * مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالّذِي فَعَلَ الفَقْرُ*

وعندما يريد أن يمدح تتزاحم عنده الأفكار، وتختلط ويرجع آلامه، ومعاناته، وما أصابه ويخرج من المعاناة الفردية على الجمع، فينثر حكمه عظة، وعبرة لكل من مر عليه موقف من هذه المواقف يجدها على قدرها، وتخاطب وجدانه، وتعالج موقفه، وتشابهه، يقول[21]: [من الخفيف]

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَاراً * * * تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ*

وكانت حياة الشاعر مليئة بالأهوال، والأتراه، التي صورها في شعره، وبهذا انطبع أسلوبه بهذه النغمة الحزينة. والحزن بطبعه، أكثر تعلقاً بالنفس من غيره، ومن ثم تجد النفس سلواها في حكمة سابغة، يقول[22]: [من البسيط]

---

* الطبع: العادة والتعمق: بلوغ عمق الشيء، وهو كلمة غريبة فصيحة.

(17) المصدر نفسه، 363/1.

* نفر الجرح: إذا ورم بعد الجبر.

(18) المتنبي، ديوان المتنبي، 93/4.

* غبطت الرجل أغبطه: إذا تمنيت أن تكون مثله من غير أن تتمنى زوال ماله.

(19) ريجيس بلاشير، أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة الكيلاني، دار الفكر، 1975م، ص 477.

(20) المتنبي، ديوان المتنبي، 150/2.

* المعنى: يقول: من جمع المال خوفاً من الفقر كان ذلك هو الفقر.

(21) المتنبي، ديوان المتنبي، 345/3.

* المعنى: يقول: إذا عظمت الهمة، وكبرت النفس، تعب الجسم في طلب المعاني من الأمور، ولا يرضى بالمنزلة الدنيئة، فيطلب المرتبة الشريفة.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

وَمَا اِنْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ * * * إِذَا اِسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ*
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ * * * حُجَّةٌ لاَجِئٌ إِلَيهَا اللِّئَامُ*

ويقول[23]: [من الوافر]

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ * * * مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلاَمُ*

"فمن هنا كان المتنبي شاعر التجارب، والحكم، ولم يكن عاملها، ومنفذها، ولو أتيح له أن يخرج آماله، وآراءه، أفعالاً وحوادث، لما استطاع أن يخرجها أقوالاً، وعبراً، لأن طالب المجد المخلوق للنجاح، المهيأ للعمل، يضع التجارب، ولا يقولها، ويمشي الطريق إلى الغاية، ولا يترسم خطاها"[24]،"وإن كثيراً من تلك الحكم التي قالها المتنبي لا تجد أصولها في حكم فيلسوف أثينا، وإنما تجدها في أقوال حكماء العرب، وفي منهج الحياة العربية نفسها، وفي صميم تجارب المتنبي وخبراته ذاتها"[25]. وكم من حكمة عذبة صادقة جاءت سهلة الأسلوب، واضحة التراكيب، أخاذة النغم كقوله[26]: [من الخفيف]

عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ * * * بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ*

ويقول[27]: [من الكامل]

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ * * * فَهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ*

عاصر المتنبي فترة عصيبة من حياة أمتنا في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة، وقد اكتسب تجربة طويلة من مشاهدته للناس وتأمله في الأحداث. وكانت حصيلة تلك التجربة إلى جانب ثقافته العميقة حكمة بليغة سارت على الألسنة حتى قيل "ما اجتمع اثنان يتحدثان إلا كان المتنبي ثالثهما"[28].

---

[22] المتنبي، ديوان المتنبي، 367/3.

* المعنى: يقول: وما ينتفع أخو الدنيا بنظره، ولا يعود عليه فائدة بصدّه، إذا استوت عنده الصحة والسقم، والأنوار والظلم.

* المعنى: الحلم إنما يحسن مع القدرة، وأما من لا قدرة له فاعتصامه بالحلم حجة للؤمه، واللئام يسمون عجزهم عن مكافأة العدوّ حلماً.

[23] المصدر نفسه، 93/4-94.

* المعنى: يقول: الإنسان إذا كان هيناً في نفسه، سهل عليه احتمال الهوان، كالميت الذي لا يتألم بالجراحة، وهذا من أحسن الكلام، ولو خرس بعده لكفاه.

[24] عباس محمود العقاد، مطالعة في الكتب والحياة، دار الفكر، شارع، سليمان البابي الحلبي، 1978م، ص 126.

[25] محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف بمصر، 1978م، ص 378.

[26] المتنبي، ديوان المتنبي، 321/1.

* البنود: جمع بَنْد، وهي الأعلام الكبار، وخَفْق البنود: اضطرابها.

[27] المتنبي، ديوان المتنبي، 360/3.

* المعنى: يقول: مذمّة الناقص دلالة على كمالي وفضلي، وذلك لأنّ الناقص أبداً ضدّ الفاضل، وبينهما تباين.

[28] انظر، ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1410ه، 1989م، ص 244.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

فقد كان المتنبي من أبرع الشعراء العباسيين في الاهتداء إلى الحكمة وضرب المثل في مختلف المناسبات، بل أن المتنبي هو سيد شعراء الحكمة أو حكيم الشعراء العرب كما يرى المحدثون، فليس هناك أفضل من الحكمة المتدفقة على لسانه[29]. ولقد كانت حكمة المتنبي رائعة وذلك لتأمله الكثير في شؤون الحياة والناس والموت وعدم انسياقه وراء الأوهام، وقد غاص المتنبي في حكمه وراء المعاني بل قد استخدم فيها غرائب المعاني[30]، وهل هناك أروع من حكمة المتنبي في قوله[31]: [من الكامل]

وَعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ *** فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ

أو في قوله[32]: [من الوافر]

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وأَنْتَ مِنْهُمْ *** فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

أو في قوله[33]: [من البسيط]

شَرُّ البِلَادِ مَكَانٌ لاَ صَدِيقَ بِهِ *** وَشَرُّ ما يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ*

أو في قوله[34]: [من الوافر]

فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبّاً *** *جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ

وَصِرْتُ أَشُكُّ فيمَنْ أَصْطَفيهِ *** لِعِلْمِيَ أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ*

وبهذه الحكمة بأسلوبها القوي ومعناها المشبع بروح التأمل ملأ المتنبي الدنيا وشغل الناس، ويكاد يكون غرض شعري تكلم فيه المتنبي حكمة جديدة زوده بها علمه وثقافته، مما يجعله يستطيع أن يولد المعاني ويختار الألفاظ والعبارات بدقة[35]. يقول المتنبي[36]: [من الكامل]

---

[29] انظر، صلاح مصيلحي عبد الله، التقليد والتجديد في الشعر العباسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م، ص 157.

[30] انظر، علي رضا، المتنبي وحكمه وأمثاله، ط 1، 1910م، ص 5.

[31] المتنبي، ديوان المتنبي، 333/2.

[32] المصدر نفسه، 20/2.

[33] أبو الطيب المتنبي، ديوان ابي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري البغدادي، ضبط نصوصه وأعد فهارسه وقدم له، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، بيروت، 1418ه، 1997م، 339/2.

* يصم: يعيب – والوصم: العيب: - وجمعه: وُصوم – والوصم: الصدع في العود من غير بَيْنُونة – والرخم: جمع رَخمة، وهو طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة، يقال له الأَنُوق.

[34] المصدر نفسه، 490/2.

* الخبّ: المكر – والودّ: الحبّ والصداقة.

* المعنى: يقول: لم أكن على ثقة من مودّة من أودّه، لعلمي أنه من جملة الناس – يريد: العموم فساد الخلق كلهم إذا اخترت أحد المودّة لم أثق بمودّته.

[35] انظر، صلاح مصيلحي عبد الله، التقليد والتجديد في الشعر العباسي، ص 159.

[36] أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 518/2.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

الرَّأيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ *** هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي*

يستهل قصيدته بذكر أبيات من الحكمة يفضل فيها العقل على الشجاعة والرأي على القوة فإن اجتمع لإنسان رأي سليم وقوة بدنية استطاع من خلالهما أن يبلغ أسمى المراتب وأرفع الدرجات ويؤكد الشاعر ويصر على تفضيل العقل الذي لولاه لكانت بعض الحيوانات القوية أكرم من الإنسان وأفضل منه[37]، ويكمل قوله[38]: [من الكامل]

فَإِذَا هُمَا اِجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ *** بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ*

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهُ *** بِالرَأيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ*

لَولَا العُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ *** أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ*

وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُفُوسُ وَدَبَّرَتْ *** أَيْدِي الكُمَاةِ عَوَالِيَ المُرَّانِ*

لَولَا سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ *** لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ*

ويرى محمود محمد شاكر: "إن لكل حكمة في شعره أصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئاً"[39]. "وإذا خلد المتنبي، فإن الذي يخلده، إنما هي تلك الحكم الرائعة التي استفاضت، وظهرت في شعره، فاستشهد الناس بها، بحسب ما يقتضيه مقام الاستشهاد"[40].

وهذا الفن الذي حوته قصائده، نجد من سبقوه بتلك الأقوال الحكمية في أشعارهم، مثل ابن الرومي، لكن البيئة وتجارب الحياة وما وجده المتنبي، أدى إلى اخراج أقوال حكمية متشبعة بكل تلك التجارب، الحياتية، فيقذف بالبيت، والبيتين في القصيدة المدحية، وتحمل معها مذهباً علمياً أو فلسفياً، أو عقائدياً يقول[41]: [من الكامل]

---

* الشجعان: جمع شاجع، وهو الشديد القلب عن البأس.

(37) انظر، مصطفى الشكعة، فنون الشعر مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، ط 2، بيروت، 1981م، ص 600-601.

(38) أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 2/518-519.

* النفس المرّة: هي القوية الشديدة من مرّ الحبل – والمرّة: الشدّة – والنفس المرّة: هي التي لا تقبل الضيم.

* المعنى: يقول: العقل أفضل من الشجاعة، وذلك أنه ربما طعن الفتى أقرانه بالمكيدة، ولطف التدبير، ودقة الرأي قبل الطعن بالأرماح، ويجوز أن يردّ على القتال بالرأي لا بالرماح.

* أدنى ضيغم – يريد: الدّون من السباع – والضيغم: الأسد – وأدنى إلى شرف: أي أقرب.

* المرّان: القنا، وهو فعال – الواحدة: مرانة، وأصله من مرن مروناً إذا لان – والعوالي: جمع عالية وهي قدر ذراعين من أعلى الرمح – والكماة: جمع كمّي، وهو المستتر في السلاح.

* الأجفان: جمع جفن، وهو غمد السيف، وهو اسم مشترك، فهو لغمد السيف وللعين، وهو اسم موضع – والأجفان (أيضاً) قضبان الكرم – الواحدة: جفنة.

(39) انظر، محمود محمد شاكر، المتنبي، مطبعة المدني، القاهرة، 1407ه، 1987م، ص 76.

(40) انظر، جلال الخياط، المثال والتحول في شعر المتنبي وحياته، دار الرائد العربي، ط 2، بيروت، 1407ه، 1987م، ص 60.

(41) المتنبي، ديوان المتنبي، 2/602.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

خَيْرُ الطّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا *** يَأْوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا*

ولو رجعنا إلى عصر المتنبي، وثقافته التي أثرت فيه ومواقفه، وخط مسار فكره، نجده قد تثقف بثقافة، عربية، أصلية، فقرأ دواوين الشعراء، وعاصر كثيراً من علماء الأدب، واللغة والنحو، واستلهم من ثقافته نماذج من حكمه. والحكمة قريبة من أفئدة العرب وهواهم، تدعو للعزة، والحرص عليها، ومقاومة الطغاة. وكان المتنبي مترجم لشعور الناس، وأفكارهم، وأمانيهم وهل هناك أروع من قوله[42]: [من الكامل]

وَعَذَلتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ *** فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ*

أو في قوله[43]: [من الوافر]

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ *** فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ*

وبهذه الحكمة وبأسلوبها القوي، ومعناها المشبع بروح التأمل، ملأ الدنيا، وشغل الناس، وغطت شهرته جميع معاصريه، وسابقيه، ويكاد يكون كل غرض من أغراض شعره تجد فيه حكمه، ومن ثم وجدنا هذا الكم الهائل من الحكم. وأورد محمود محمد شاكر عن حكمه قوله: "ولو تدبرت لوجدت كل حكمة في شعره أصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر، الذي لم يكون قلبه ينسى شيئاً، أو يفلته، وكأني به وهو يقول البيت السائر، والمثل الشرود كانت تتراءى تحت عينيه، ويروي في مسمعيه كل ما مر به مما أثر فيه، فيقول البيت وفي كل نقطة منه سبب ممدود، إلى ذكرى يذكرها، أو فكرة يتخيلها"[44].

"سئل أبو الطيب نفسه عن البحتري، وأبي تمام، وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري"[45]. وهذا يدل على حكمة الشاعر، وتلك الدرر التي نثرها خلال مدائحه يقول إبراهيم أبو الخشب: "أضفى على حكمته ثوب الشعر،

---

* الطيور: جمع طير، وطير: جمع طائر، فالطير: اسم جنس يقع على الواحد والجمع – والناووس: ليس بعربي، وهو مقابر النصارى. وقيل: مقابر المجوس.

(42) المتنبي، ديوان المتنبي، 333/2.

* المعنى: يقول: كيف يكون موت من غير عشق، أي من لا يعشق يجب لا يموت، لأنه لا يُقاسي ما يوجب الموت، وإنما يوجبه العشق.

(43) المصدر نفسه، 20/2.

* المعنى: يقول: إن فضلت الناس وأنت من جملتهم، فقد يفضل بعض الشيء الكلّ جملة، كالمسك وهو بعض دم الغزال، يفضله فضلاً كثيراً.

(44) محمود محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، 1978م، ص 250-251.

(45) يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق، محمد شتا، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ص 178.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

فبدت وعليها طاب، ولها حسنة، وفيها رؤاه، حتى إذا قرأها القارئ، لا يدري أهي شعر محكم، أم حكمه ذانها ثوب من الشعر، وهكذا يهجم عليك الحسن من ناحيتين، ويدخل إليك الإعجاب من بابين، فلا تفهم بأيهما أنت مفتون، ولا بأيهما أنت معجب"[46]. يقول العقاد عن حكمته: "فهو اليوم أظفر ما يكون خائباً، وأخيب ما يكون ظافراً، ليس بملك، ولا أمير، ولا قائد، ولا صاحب جاه، ولكنه فخر العرب، وترجمان حكمتهم، والرجل الفرد الذي نظم في ديوان واحد ما نثرته الحياة في سائر التجارب، والعظات فكان كلامها كلامه، وحقائقها حقائقه"[47]. ومن خلال أبياته الحكمية التي يربط فيها بين أجزاء القصيدة من ناحية المعنى، وسرد المفهوم العام، وما يعطي المتلقي من ربط بين أجزائها، كذلك هي في الواقع حوار مع النفس، يحاول من خلاله أن يؤكد لنفسه أن الأمور على ما يرام، لأن هذه هي الحياة وهذا هو. وبذلك بنى أبو الطيب قصائده بناءً حكمياً، ليس في المدح فحسب، بل نثرها في الهجاء، والرثاء، وهو لم يترك حكمة رائعة، أو قولاً نافعاً إلا أطلقه شعراً، وستظل الحكمة ضالة الانسان إلى الأبد.

أثر الفلسفة في شعر المتنبي:

الفلسفة هي نظرات شاملة، نافذة نتيجة آراء في الحياة، يقوم عليها نظام من الفكر متصل متماسك، والعصر العباسي من أزهى العصور التي ازدهرت فيها العلوم العقلية، والأدبية والفلكية، والفلسفة، فكان العالم الرازي، والفيلسوف الفارابي. وتصارعت في هذا العصر الملل، والنحل، من شيعة، وسنيين، وقرامطة، ومتفلسفة، ومعتز له، وشهد العصر كثيراً من الكتب التي ترجمت في شتى أنواع المعرفة، كعلم الكلام، والفلك وغيره من العلوم المستقاه من الحضارات الإغريقية، والفارسية، واليونانية، وقد انصهرت كل هذه العلوم، والفلسفات مكونة آراءً، وأفكاراً في المجتمع العباسي. ولكن على الرغم من ذلك لم تحظ عند كثير من العلماء بقبول. ذلك لأن الفلسفة تقوم على الحقائق المادية، والنظريات المدروسة، والشعر يقوم على العاطفة والخيال، والمبالغة أحياناً وصدى الوجدان. "فلما أسن المتنبي، وبلغ مبلغ الرجال، واتصل بسيف الدولة الحمداني، لقي المعلم الثاني أبا نصر الفارابي، ذلك الفيلسوف، الذي نشر مذاهب فلسفة أثينا، وأنه جو يسمح له بالدراسة الفلسفية، كما بسمح له بأعمال العقل، وشغل التفكير"[48].

---

[46] إبراهيم أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي، في العصر العباسي الثاني، دار الفكر، القاهرة، 1975م، ص 297.

[47] عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، ص 125.

[48] محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، ص 319.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

وهناك بعض الذين اتهموه بالغلو في الفلسفة، وذلك لورود بعض الأبيات المتفرقة في قصائده المدحية التي تحمل حكمية، وأمثال، وآراء في الحياة من ذم للدهر، والبحث عن الذات في بدابة حياته، والقوة، والثورة التي اتسمت بها قصائده. ومنهم من نسب آراءه وحكمه إلى أرسطو، كالحاتمي في رسالته. وهذا النقد حول شعره دلالة على قدرته واستنباطه للنفوس.

أما الجرجاني وهو من معاصريه، وفي كتابه، الوساطة سجل آراءه في نقد شعره، ولكنه لم يمنح الجانب الفلسفي في شعره كثير اهتمام، إلا تعرضاً عابراً يقول: "وإنما دللناك على منهاجه، وارتباك بابه، وقد قدمت فيما استرذلناه، من شعره، وإنما نجد له المعنى الذي لم يسبق الشعراء إليه، إذا دقق، فخرج من رسم الشعر إلى طريق الفلسفة"[49].

وأما الثعالبي، صاحب اليتيمية، تعرض لكثير من شعره بالنقد، وله فيه آراء، ولكنه لم يذكر أو يحدد أبيات يدعي أنها فلسفية.. يقول طه حسين: "نذكر البيئة التي عاش فيها المتنبي مع سيف الدولة، في بلاطه تقارب، تسع سنوات لا يستبعد أن سيف الدولة نفسه قد ألمّ بجانب من الفلسفة اليونانية، التي حمل لواءها الفارابي، وتنسب إليه الحكمة، ولا تنسب إليه الفلسفة مباشرة"[50]. ويقول العقاد: "إن للمتنبي مذهباً خاصاً في الحياة"[51]. ومن خلال ديوان الشاعر، وآراء النقاد. اتضح أن للشاعر آراء، وأفكار معينة حول الحياة، والموت، والمتضادات في الحياة، والتي أكثر منها، وهذا لا يعني أن الشاعر قد أخذ بأفكار الفلاسفة، ووضعها في أشعاره، وأن الثقافة التي اتسم بها عصره فهي مزيج وخليط من كل الثقافات، والأفكار الوافدة، وله خطرات في الحياة والكون منثورة هنا وهناك، لا يجمع بينها سوى نفس الشاعر والجو الذي يعيش فيه.

ويذكر محمود محمد شاكر، أنه "وجدت بعض الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة في شعره، وأخذ مما سمع، وقرأ، وحفظ حتى بان ذلك في شعره الأول بياناً لا خفاء فيه"[52]. واطلع الشاعر على كثير من الكتب، لوفرة الثقافة الوافدة، التي تحمل الكثير من الأفكار والرؤى الجديدة، ومجالسة أهل اللغة، والأدب في بلاط سيف الدولة، وبيئاته التي تقلب فيها. "ويكاد الانسان يقطع بأنه لا يوجد شاعر في العصر، إلا وقد أذعن للثقافات المعاصرة، المتنوعة واتخذ منها غذاء لعقله، وقلبه"[53].

---

[49] علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة، مصطفى البابي وأولاده، 1968م، ص 143.
[50] طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف بمصر، 240/2.
[51] عباس محمود العقاد، مطالعات الكتب والحياة، ص 144.
[52] محمود محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص 189.
[53] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 194.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

وللشاعر آراء ومذاهب في الحياة أتت من خلال مسيرة حياته الأدبية الحافلة بالتجارب: يقول عن فناء الدنيا، وتقلبها، وزوال نعيمها[54]: [من الكامل]

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا *** مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبُ*

ويقول[55]:[من الوافر]

يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي *** أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الأَوَالِي*

"والمتنبي على وجه خاص أولى من عامة شعرائنا، ما عدا المعري، بالنصيب الأوفر في عالم المذاهب، والآراء، لأن الحقائق المطبوعة لا تكاد تقر في نفسه، التي يرسلها إلى ذهنه، ويكسوها ثياباً من نسجه"[56]. وأبو الطيب ليس فيلسوفاً ومن المعروف له آراء يؤمن بها لا تتعارض مع الفكر، وطبيعة الحياة "ومن شرط المذهب الفلسفي في نظرنا، أن يطبع كل تفكير الفيلسوف وكل معتقداته، وجميع مظاهر سلوكه، بطابع الوحدة الفكرية، بحيث تستطيع أن تدرك الحقيقة التي يؤمن بها جميع أقواله، وآرائه، ما دامت دائرة في مجال فلسفي واحد"[57]. وهذا المفهوم لا ينطبق عليه، لأن للشاعر كثير من المواقف في الحياة الاجتماعية، ينفعل لكل حدث حسب الموقف النفسي له. وظهر ذلك جلياً من خلال مدائحه في بيئاته التي تقلب فيها، ومن خلال مواقفه التي يدعو فيها إلى الإصلاح، ويحض على الصبر، والشجاعة والعمل، وعدم الذل، والبعد عن شوائب الدنيا، وملذاتها وتجلت نزعته العربية، والدعوى لها، ونلحظ أن كثرة الحكمة في شعره، ورجوع الأسباب لمسبباتها، والمقارنة بين الشيء وضده، من الأسباب التي أدت لاتهامه بالفلسفة "فالمتنبي ليس واضع نظريات فلسفية عامة على مطلق الحياة، وإنما صاحب مواقف يمتزج خلالها فكره بسلوكه"[58]. وربما خطر للقارئ لشعره ومن خلال المسحة التشاؤمية والنفس الحار القوي الذي يلهب الشعور، أنه من أهل الباطن الذين يتجاوزون الظواهر إلى البواطن، ويحسبون الظواهر وهما، أو من خلال الفلاسفة المجردين، ولكنه يلبس الأسرار ثوب الظواهر من خلال انفعالاته مع مسالب مجتمعه وتصويرها بشكل فني رائع، تخلله بعض الحكم. وتم التعرض لهذا

---

[54] المتنبي، ديوان المتنبي، 50/1.

* الجيئة: مصدر جاء يجئ مجيئاً وجيئة، وكذلك الذهوب.

[55] المصدر نفسه، 18/3.

* المعنى: ندفن الأموات، ونمشي على رؤوسهم بعد موتهم.

[56] عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، ص 145.

[57] محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، ص 383.

[58] سهل عثمان، ومنير كنعان، المحصول الفكري للمتنبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1389ه، 1969م، ص 196.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

الموضوع لأنه أخذ حيزاً في مؤلفات بعض النقاد، ويعتبرونه عيباً من عيوب الشعر التي أخذ بها الشاعر. وإذا رجعنا للفلسفة كفن علمي، ونفترض أن الشاعر فعلاً أدخل بعض ألفاظ الفلاسفة في شعره، هل يعتبر ذلك عيباً ينقص من شعره، ومكانته بين الشعراء؟. وهل العيب في الفلسفة أم في من يتأثر بها؟. إذا كان في الأول فنجد هناك كثيراً من الأمراء الذين شجعوا على ترجمة هذه العلوم من الثقافات الأخرى، بل تنافسوا فيها، بل جعلوا غير واحد من هؤلاء العلماء الذين يحملون هذه العلوم في بلاطهم، وما "الفارابي"*[59]في بلاط سيف الدولة ببعيد إذ يجد الحظوة، والتقدير من العلماء، والشعراء بل من الأمير نفسه. وإذا أدخل هذه الألفاظ فما زادته إلا قوة ومضاء. إذا الحسد، والعداء كان وراء اتهامه بذلك وما ذلك الذي يستخرج مائة حكمة من شعره، وينسبها لأرسطو ببعيد، وذكر ذلك ليس دفاعاً عن الشاعر وإنما عرض بعض الحقائق التي بانت من خلال هذا البحث.

الخاتمة:

بعد هذا البحث في موضوع أثر الدين والحكمة والفلسفة في شعر المتنبي، نصل إلى العديد من النتائج والتي تتلخص في النقاط الآتية:

- اشتملت قصيدة الشعر عند المتنبي على القيم الدينية، التي تمثل نموذج الكمال الديني، الذي يحرص الشاعر على تصويره في ممدوحه، وتمثله لها وقد كثر على الرغم من التحلل الخلقي الذي ساد المجتمع آنذاك.
- تتجلى النزعة الدينية القومية في مديحه، وظهر ذلك جليّاً في مديحه لأميره سيف الدولة، وتصوير معاركه الحربية ضد الروم، حيث يجعله بطلاً عربياً، وإسلامياً في آن واحد، فهو حامي حمى الدين وملك العرب.
- يقذف بالحكم والأمثال في أثناء القصيدة، حتى يضفي عليها طابعاً من المعاني التي تحمل مضمون القصيدة، وما ترمي إليه وهذا كثير في مدائحه في كل مراحله وبيئاته التي تقلب فيها، ثم يربط هذا المعنى بحكمة تحمل نفس المضمون.
- الحكمة في شعر المتنبي، نجدها بلغت الذروة من القوة، والتي نتلمسها في معظم فنون الشعر عنده، ولقد تغلغل الشاعر في بواطن الأمور المظلمة، الحالكة، لكثرة تجاربه.

* الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، الحكيم الفيلسوف المعروف.

(59) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 153/5.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

- الوصول لهذا الكم الحكمي الخالد في قصائد المتنبي، الذي تذوقه الناس فأشفى غليلهم، وقلل من وحشتهم، فأصبح ملك كل إنسان يقيسه على نفسه، في ترهِها، وفرحِها، وفصول الحياة اليومية.
- قلما التفت المتنبي لفلسفة الكون، والعالم، والنظريات الفلسفية، لدى علماء الفلسفة، وإنما انصرف لهموم مجتمعه، وقضاياه الحياتية، وأن له فلسفة قائمة بذاتها مستقاة من عصره وشخصيته.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

المصادر والمراجع:

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- إبراهيم أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي، في العصر العباسي الثاني، دار الفكر، القاهرة، 1975م.
- يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق، محمد شتا، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1963م.
- ريجيس بلاشير، أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة الكيلاني، دار الفكر، 1975م.
- علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، 1968م.
- طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف بمصر، د.ت.
- جلال الخياط، المثال والتحول في شعر المتنبي وحياته، دار الرائد العربي، بيروت، 1407ه-1987م.
- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1410ه-1989م.
- محمود محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، 1978م.
- محمود محمد شاكر، المتنبي، مطبعة المدني، القاهرة، 1407ه-1987م.
- محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف، بمصر، 1964م.
- مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، ط 2، بيروت، 1981م.
- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط 6، 1996م.
- صلاح مصيلحي عبد الله، التقليد والتجديد في الشعر العباسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.
- سهل عثمان، ومنير كنعان، المحصول الفكري للمتنبي، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1389ه-1969م.
- عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، دار الفكر شارع سليمان البابي الحلبي، 1978م.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

- علي رضا، المتنبي حكمه وأمثاله، ط 1، 1910م.
- أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء عبد الله العكبري البغدادي، ضبط نصوصه وأعد فهارسه وقدم له، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، بيروت، 1418ه-1997م.
- المتنبي، ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط، وتصحيح، مصطفى السقا، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، 1397ه-1978م.

تاريخ الاستلام: 2021/03/20 تاريخ النشر: 2021/06/01